

**المرحلة القارّية**

**خطوة غير مسبوقة في مسيرة السّينودس**

**كلمة ترحيبية يلقيها صاحب النيافة**

**الكاردينال ماريو غريش**

**أمين عام سينودس الأساقفة**

(لبنان في ١٣ شباط/فبراير ٢.٢٣)

"الكنيسة السّينودسية هي كنيسة الإصغاء".

أستهِلّ كلمتي بهذا الاقتباس من الخطاب الذي ألقاه قداسة البابا فرنسيس بمناسبة الذّكرى الخمسين لتأسيس سينودس الأساقفة (١٥تشرين الأول/ أكتوبر٢.١٥)، لأنّه يتيح لنا تحديد موقع المرحلة التي نحتفل بها بشكل أوضح. وتشكّل المرحلة القارّيّة، في الواقع، لحظة إصغاء أخرى تتم دعوة الكنيسة إليها وتُعرَف بـ "الإصغاء المتبادَل"، حيث يكون لكلّ فرد ما يتعلّمه. المؤمنون، كلّية الأساقفة، أسقف روما: أحدهم يستمع للآخر ؛ والجميع يستمع إلى الرّوح القدس، "روح الحقّ" (يو ١٤:١٧) ، لكي يعرفوا ما "يقوله الرّوح للكنائس" (رؤ ٢: ٧) ".

فمبدأ الإصغاء هذا، هو أساس المسيرة السّينودسية برمّتها، الّتي تبلورت في المراحل التي أنشأها الدستور الرّسولي *Episcopalis communio* ، محوّلةً بذلك السّينودس من حدث إلى مسيرة. ومع المرحلة القاريّة، سنُغلق المرحلة الأولى، أي المرحلة المتعلّقة بالكنائس الخاصّة وتجمّعاتها. وأودّ أن أعيد قراءة المسار الذي سلَكَتْه حتّى الآن في نصّ أوسع أعهد إليكم بمراجعته. ومن شأن التأمّل بالمراحل السابقة - استشارة شعب الله في الكنائس الخاصّة وتمييز رعاة الابرشيات في مؤتمرات الأساقفة والهيئات الموازية لهم في الكنائس الشّرقية – أن يساعدنا على تحديد موقع الحدث الّذي نحتفل به بشكل أفضل.

إلا أنّني أودّ تسليط الضّوء على جانبين من جوانب المسيرة حتى الآن، قبل أن أتناول النّقاط الّتي تؤثّر بشكل مباشر على المرحلة القارّية.

الجانب الأوّل: إنه لمن المهمّ أن يتّضح للجميع أن نجاح المسيرة يعتمد على المشاركة الفعّالة لشعب الله والرّعاة. إن الممارسة الصحيحة للمجمع السينودسي لا تضع هذين الموضوعين في منافسة أبدًا ، ولكنها تحافظ عليهما في علاقة ثابتة ، مما يسمح لكليهما بأداء وظيفتهما الصحيحة. لقد مكّنَت المشاورة في كنائس معيّنة شعب الله من تنفيذ تلك الطريقة الصّحيحة للمشاركة في الوظيفة النبويّة للمسيح ، والّتي تتجلى في حس الإيمان أو معرفة الله *sensus fidei* لجميع المعمَّدين. لكنّ هذا العمل الكنسي لم يتمّ بدون الأساقفة (أو ما هو أسوأ من ذلك، لم يتمّ ضدهم): فبدأ كلّ راعي بالتشاور في كنيسته، وفي إطار مؤتمرات الأساقفة، وتحلّوا جميعاً بفضيلة الحكمة التي تتلاءم مع مفهوم التعليم أي *munus docendi* . و يمكننا أن نعتبر فعلاً أن دينامية الشّركة هذه ثمرة التجربة المجمعية التي تبدد أكثر من بضع مخاوف أولية. إن مشاركة شعب الله بنشاط في حياة الكنيسة لا ينتقص من الخدمة الهرميّة بل، يقوّيها ويظهر وظيفتها التي لا غنى عنها في حياة الكنيسة.

الجانب الثاني: أهمية الإصغاء. الإصغاء للاستماع إلى الرّوح القدس الّذي يتكلم إلى الكنيسة. فالقول بأن "الكنيسة المجمعية هي كنيسة إصغاء" لا يمكن ولا يجب اختزاله في عبارة بلاغية. ولو كان هذا صحيحًا، فيجب أن يكون دائمًا صحيحًا. فالإصغاء بالنّسبة للكثيرين ليس إلّا مضيعة غير مجدية للوقت، مما يخدم بل ويبرر أولئك الموجودين في الكنيسة الذين يريدون إثارة الجدل، مما يتيح لهم "وضع العصي في الدّواليب". مع ذلك، سيكون من الغريب أن نتظاهر بإنضاج إجماع حقيقي في سينودس حول السينودسيّة، لا بل على الكنيسة السينودسية، دون أن نمارس بشكل كامل المبدأ الذي يدعم وينظم ممارسة السينودسية. وكنّا قد طلبنا في الوثيقة التحضيرية أن نصغي إلى الجميع، حتى الأبعد منهم، ربما مع افتراض أن إصغاء أولئك الذين يشاركون في حياة الكنيسة أمر مفروغ منه. وتناثرت الانتقادات على هذا المؤشر وكأننا نريد تفضيل البعض على حساب البعض الآخر. إلا أنّنا بالكل ينعني الكلّ، ولا أحد مُستبعد.

وفي هذا الصّدد ، أشعر بالحاجة إلى التّأكيد على أنّه انطلاقاً من هذه المرحلة القارية تحديدًا ، علينا أن نكون أكثر انتباهاً للأصوات "داخل" الكنيسة، وتحديداً تلك الأصوات التي تحدث اضطرابا في الجسد الكنسي في كثير من الأحيان. ففي الاستشارات ، تمكنا من الاستماع إلى جميع الأصوات، باستثناء أصوات أولئك الذين لم يتكلموا، إما لأنهّم لا يستطيعون أو لا يريدون الكلام. وقد اصغينا أيضاً الى الصمت! كما أصغينا إلى الكرسي الفارغ! وإذا لم يستطع أحد من التكلّم ذلك لأننا فشلنا في الاصغاء، فنحن مدعوّون للاعتراف بمصدر فشلنا. ولكن إذا لم يرغب المرء في الكلام، فعلينا أن نفهم أسبابه. أمّا أصدق طريقة، والتي تتجنّب الاختصارات السّهلة، فتكمن بإنشاء "أماكن" يمكن للجميع التّحدث فيها ؛ أماكن اللّقاء حيث يشعر الجميع أنّهم مسموعون. لا تعتمد الحقيقة في الكنيسة على نبرة الكلام وحجمه، بل على الإجماع الّذي يمكّنها أن تخلق وتحديداً من خلال الإصغاء لبعضنا البعض. وفي مثل قضية حاسمة كهذه، ونعني هنا "الكنيسة السّينودسيّة التّأسيسيّة"، يجب ألّا نخاف من الانخراط في نقاش فيما بيننا: فليست حججنا هي التي ستُقنِعنا ، وإنّما الرّوح القدس الّذي يقود الكنيسة إلى كلّ الحقيقة (راجع يو. ١٦:١٣).

نحن مدعوّون جميعًا، بضميرنا ، إلى تقديم ردودنا: من أولئك المقتنعين بعمق إلى أولئك الذين لا يزالون لديهم شكوك وصولاً إلى أولئك الّذين يعارضون علنًا. فنحن لا نبني الشركة من خلال التحدث ضد عملية السينودس خارج أماكن الاصغاء. لا أحد ممنوع من الكلام. ولهذا السّبب يجب أن نطلب من الرّوح المزيد من الشجاعة للتكلّم بالعلن، لنوضح قناعاتنا بالكامل، ولكن أيضًا للاستماع الكامل إلى صوت الآخرين. ومن الاستماع لبعضنا البعض سيولد هذا الإجماع *conspiratio* الّذي سيسمح لنا بفهم ليس فقط ما إذا كانت الكنيسة سينودسيّة بشكل أساسيّ، ولكن ما هو شكل السّينودسي الّذي ينوي الرّوح أن يمنحه للكنيسة.

يمكن للجمعيّات القارية، التي تشكّل فعلًا إضافيًا للبصيرة الكنسيّة، أن تلعب دورًا حاسمًا في هذا المجال. بعد هذا الإصغاء الواسع بالتشاور مع شعب الله وبصيرة مؤتمرات الأساقفة ، عُهد إلى الجمعيات القارية بمهمة أساسية في المسيرة السينودسية يكمن بالتّمييز، اي اطلاق الحكم الصّائب، ما إذا كانت محتويات الوثيقة الخاصّة بالمرحلة القارّية تتوافق مع مفهوم السّينودسية كما تعيشه الكنائس في القارة وإلى أي مدى.

في العديد من القضايا التي طرحتها الكنائس الفردية وسجّلتها مؤتمرات الأساقفة المعنيّة، ظهرت استجابات مختلفة، وأحيانًا كانت في غاية الاختلاف من قارة إلى أخرى، إلّا أنها وفي بعض الأحيان كانت استجابات متشابهة جدًا. فمن الضّروري أن تقيّم كل جمعية هذه المحتويات بدقة، وأن تحدّد بحرّية وصراحة أي منها يتوافق مع موضوع الجمعية العامة العادية السادسة عشرة لسينودس الأساقفة وأي منها سيكون مصدر انقسام في الكنيسة.

ومن المهمّ التّأكيد على أن قائمة المواضيع الموجودة في وثيقة العمل لا تشكّل جدول أعمال السينودس، كما ذكَرْتُ آنفاً مع الكاردينال هوليريش في رسالتنا الأخيرة إلى جميع الأساقفة. لا يمكن أن يكون هذا هو الحال ، ليس فقط بسبب عدد المواضيع الموجودة في وثيقة العمل التي سيكون من المستحيل تناولها وسيحتاج كلّ منها إلى إخضاعها لتمييز جاد ، ولكن أيضًا لأن موضوع السينودس موجود بالفعل: " الكنيسة المجمعية: شركة ، مشاركة ، رسالة ". هذا ليس بأي حال من الأحوال فرضًا يقلل من حرية الكلام ، بل هو عمل احترام للكنيسة وأولئك الذين كرّسوا أنفسهم لتعميق هذا الموضوع.

هذا هو التّمييز الّذي تنتظره أمانة السّينودس من المرحلة القارّيّة حتّى تتمكّن، على أساس الوثائق الصّادرة عن الجمعيّات القارية السّبع، من وضع أداة عمل *Instrumentum laboris* للجمعية العامة هي حقًا تعبير عن الشركة الكنسية . ولا بد له ان يكون القيام بذلك لأمر مجدي، مع التّأكّد من أن الوثائق التي تقدّمها الجمعيّات القارّية هي ثمرة تمييز على الوثيقة للمرحلة القارية والتي من شأنها أن تأخذ في الاعتبار الملاحظات القادمة من الكنائس الفرديّة الخاصّة ومن مؤتمرات الأساقفة في القارّة.

ولا بد من أن يكون ذلك كافياً للإشارة إلى أهمّية المرحلة القارّية. لقد كرّرنا مرارًا أننا جميعًا متدربون في السينودس. الآن في ختام المرحلة الأولى، ما زلنا متدربين، ولكننا تزوّدنا بمزيد من الخبرة، وبالتّالي المزيد من القدرات والمسؤوليّة. إنها مسألة اتخاذ خطوة أخرى إلى الأمام على طريق السّينودسيّة، وإنجاز المهمّة الموكلة إلى هذه المرحلة المتوسّطة من المسيرة السينودسيّة بأفضل ما في وسعنا.

علاوة على ذلك ، فإن التمييز المطلوب من الجمعيات القارّية ليس عملاً منفردًا يمكن أن يتجاهل استشارة شعب الله في الكنائس الخاصّة والتّمييز في مؤتمرات الأساقفة وحسب، بل هو في الواقع، "مرحلة"، لحظة مهمّة في مسيرتنا نحو هدف هذا السينودس، أي الفهم الكامل للصّيغة السّينودسية للكنيّسة ، لا سيّما في العناصر الثّلاثة التي تظهرها: الشرّكة والمشاركة والرّسالة.

أود أن أعبّر عن اقتناع قد أضفناه نضوجاً مع تقدّم المسيرة السّينودسيّة وهو أن الرّوح يقودنا لتتبع المسار الكاثوليكي نحو السّينودسيّة. لقد حافظ إخوتنا في الأرثوذكسية على الشكل القديم للسّينودس، دون دمج أولويّة كنيسة روما وأسقفها خليفة بطرس ؛ لقد طوّر إخوتنا في الكنائس وجماعات الإصلاح مجمّعًا لشعب الله ، متجاهلين الوظيفة المناسبة للرعاة. لذلك، نرغب بالحفاظ على تراث التّقليد الذي يحافظ دائمًا على السينودسية والمجمعية والأولوية فيما يتعلق بالعناصر الضرورية وغير القابلة للتصرف في مسيرة السّينودس ، المبنية على وظائف كل من شعب الله وكلّية الأساقفة وأسقف ا روما ؛ من هنا، يمكن للكنائس الشّرقيّة الكاثوليكية أن تساعدنا كثيرًا ، والتي ، جنبًا إلى جنب مع ممارسة السينودسية ، النموذجية في الشرق المسيحي، توحّد الأمانة للكرسي الرّسولي. أنا على يقين أنه من خلال هذا المسار سيكون من الممكن أيضًا إحراز تقدم في الحوار المسكوني. عسى روح الرب القائم من بين الأموات أن يرشدنا خطواتنا ويمنحنا الشجاعة للسّير في الطريق السينودسي ، الّذي - أنا أؤمن بهذا من كل قلبي - هو الطريق الذي يفتحه الرب على كنيسة الألفية الثّالثة.